المدرسة الفيثاغورية

كان القوم الذين نطلقُ عليهم الآن أسم الإغريق أو اليونان مجموعةً كبيرة من القبـائل التي يرجع أصلها الى العرق « الهندي — الأوربي » ، وكانوا يرعون مواشيَهم في الجهات الغربية من البحر الأسود على ضفاف نهر الدانوب . وفى أوائل الألف الثانية قبل الميلاد أنحدر هؤلاء الرعاة الهمج الى الجنوب ، وأستوطنوا بلاد الإغريق الحاليـة ، بعد أن تغلبوا على السكان الأصليين ، ويدعون « الايجيين » . وفى غضون ما بين سنة ٢٠٠٠ وسنة ٩٠٠ قبل الميلاد لم يكتف الإغريق بتثبيت أقدامهم فى بلاد اليونان ، بل أستولوا أيضاً على شواطىء آسية الصغرى الغربية وعلى جزر بحر إيجة وعلى جزيرة كريت ، وقوضوا الامبراطورية الحيثية ، وأسسوا مدناً ، وبدأوا حضارة لم يرَ التاريخ القديم قبلهم مثيلاً لها .

وهكذا نجد في ختام هذه المدة الحافلة بالهجرات والحروب والثورات أن الوضع فى الشرق الأدنى قد تطور وتغير . فقـد أختفت امبراطوريتان : الحيثية فى آسية الصغرى والمينوانيـة فى جزيرة كريت وبحر إيجة ، كما ضعفت قوى مصر وبابل ، وظهر على مسرح التاريخ أقوام جدد كالآشوريين والفينيقيين والعبرانيين والإغريق .

وفى أثناء هذه المدة تمّ الأنتقال من الدور البرنزي الى الدور الحديدي . فالحيثيون هم أول من أكتشف الحديـد وأستعمله ، وكان لهذا الاكتشاف أثره البعيد المدى فى تأريخ الحضـارة البشرية . فهو لا يزال حتى اليوم عماد الكثير من الصناعات ، وخاصة صنع « السكاين » . أما أثره في الماضي البعيـد ، فلم يقتصر على سـير الحروب فقط ، ولـكنه ، أدى الى رخص أدوات الإنتاج ، ثم زيادة الانتاج نفسه حتى أصبح في بعض الأماكن يفيض عن حاجات المجتمع ، فنشطت التجارة ، وازدادت الثروات ، وأسهم عدد أكبر من الناس فى الشؤون الاقتصاديـة

وقضايا المجتمع عامة ، وظهرت طبقة التجار الى جانب طبقة الإقطاعيين ، ثم تغلبت عليها بعد كفاح عسير .

وتنعكس صورة هذا التقدم فى أختراعين عظيمين : الأول إحلال الكتابة بالحروف الهجائية السهلة التعلم محل الكتابة التصويرية القديمة الصعبة ، ويعود فضل أختراع هذه الحروف الى الفينيقيين الساميين ، وعنهم انتشرت فى أنحاء العالم الغربي . والحروف اللاتينية الحالية ترجع الى أصل ساميّ فنيقي . أما الاختراع الثاني ، فهو استعمال المسكوكات النقدية فى التجارة ، ويعزى الى الآشوريين وهم ساميون أيضاً .

إن مجاورة البلاد اليونانية للبحر وكثرة خلجانها الصالحة لرسو السفن التي هي أشبه بموانئ طبيعية ، ووجودَ الجزر الكثيرة المتقاربة فى بحر إيجة : كل ذلك نشط الملاحة ، وأدى الى ظهور مدن تعتمد في حياتها على التجارة والصناعة ، والى نشوء طبقة واعية من التجار فى كل مدينة من هذه المدن تجمع بينها المصلحة الاقتصادية ، وبنتيجة ذلك تألفت (حكومات المدن) ، أعني أن كلّ مدينة أصبحت حكومة مستقلة . ولم تتمكن هذه المدن أن تتحد لتؤلف دولة واحدة ، بل كانت على العكس من ذلك تشتبك أحياناً فى حروب بعضها مع بعض .

وأهم هذه المدن على الشاطئ الآسيوي كانت (ميليتس) التي أمتدت تجارتها الى جميع شواطئ البحر المتوسط والى البلاد الواقعة على سواحل البحر الأسود حتى الشمالية منها ، وأستطاعت أن تؤسس ما لايقل عن تسعين مدينة على شواطئ هذين البحرين ، وأن تفتتح مراكز تجارية ومستعمرات على سواحل مصر الشمالية . كما أنها اتصلت براً ببلاد ما بين النهرين ، وبابل منها على الأخص . وهذا الأتصال بمصر من جهة وبالعراق من الجهة الثانية أدى بهم الى اقتباس الشئ الكثير من حضارتيهما العريقتين ، وخاصة الآراء العلمية الرياضية ، إلا أن الفكر اليوناني لم يقف عند حد الاقتباس ، بل تجاوزه الى الإبداع والأختراع ، فأتى بالعجائب والغرائب ، مما لا يزال موضع الدرس وزينة العقل .

وينقسم الدور اليوناني من ناحية انجازاته في الرياضيات الى ثلاث مدارس لم تكن متعاصرة ، بل كانت متعاقبة ومتداخلة بعض الشيء : المدرسة الأولى مدرسة فيثاغورس (وهي التي ستكون مدار بحثنا اليوم) . المدرسة الثانية هي مدرسة أفلاطون وأرسطو ، أي المدرسة الآتينية . المدرسة الثالثة هي مدرسة الاسكندرية ، وقامت في القسم الإغريقي من مصر ، وامتد نفوذها الفكري الى صقلية وبحر إيجة وفلسطين .

وسنبحث عما تم من تقدم في الرياضيات وما يتعلق بها من آراء علمية في كل من هذه المدارس الثلاث على انفراد ، وتمهيداً لبحث المدرسة الأولى لا نرى بداً من ذكر ثاليس نظراً لأهميته .

ثاليس : عاش ثاليس (من ٦٤٠ ق . م الى سنة ٥٤٦ ق . م) وهو أول يوناني أهتم بالرياضيات بصورة عامة ، وبادماج علم الفلك وعلم الهندسة ونظرية الأعداد بصورة خاصة . ويقال إن أباه كان من أصل فينيقي سامي ، وإن أمه يونانية . وهو من أهل مدينة (ميليتوس) التي سبق ذكرها . وكان موقعها جنوبي مدينة (إزمير) الحالية . وكان في شبابه تاجراً ناجحاً ، وفي كهولته سياسياً لامعاً ورجل دولة حكيماً . أما في شيخوخته ، فكان رياضياً وفلكياً وفيلسوفاً لامعَ الفكر واسعَ العقل . وقد نجح في جميع الأعمال التي قام بها نجاحاً باهراً وذلك مما يدل على عبقرية متعددة الجوانب .

فهو مثلاً عندما أشتغل تاجراً ، أحسّ سلفاً بجودة موسم الزيتون ، فأشترى جميع المعاصر في المدينة بأسعار زهيدة ، وجنى من ذلك أرباحاً طائلة عند حلول الموسم . أما في كونه رجلاً سياسياً ، فهو الذي منع مدينته أن تعقد اتفاقاً كان سيجر عليها الويلات ، وذلك قبل غزوة الفرس لبلاد اليونان التي أنتهت بكارثة على الفرس انفسهم . وقد عُد بسبب ذلك أحد (العقلاء السبعة) في زمانه . ولما تفرغ للعلم والفلسفة ، قام بسفرات الى مصر والى بابل ، وهناك درس الرياضيات والفلك ، ويقول بريستد مؤلف كتاب التاريخ القديم Ancient Tims إنه تسلّم من البابليين قائمة من الأرصاد الفلكية ، ومن مثل هذه القوائم كان البابليون على علم بان كسوف الشمس

يحدث في فترات دورية . وقد تعلم منهم كيف يحسب بواسطة هذه القوائم موعد الكسوف القابل . ثم اخبر أهل (مليتوس) أن يتوقعوا كسوفاً للشمس قبل نهاية سنة عيّنها لهم . ولما حدث ما تنبأ به بالفعل ، طار صيته فى الآفاق . وتروى عن ثاليس هذا أقاصيص كثيرة ، نذكر شيئاً منها للتفكهة وللدلالة على ذكاء الرجل .

فالقصة الأولى منقولة عن بلوتارخ : يقال إن سولون ذهب الى مدينة ميليتوس ، ونزل ضيفاً على ثاليس ، وأبدى عجبه من أن ثاليس لم يتزوج ولم ينجب . ولكن ثاليس راغ عن الجواب ، وبعد بضعة أيام جاء برجل غريب وأوصاه بما يجب أن يفعله . فلما حضر الرجل ، ادعى أنه غادر أثينا منذ عشرة أيام فقط . ولما سأله سولون عما لديه من أخبار ، أجابه الرجل بما لقنه إياه ثاليس من قبل : « لا شيء ، الا وفاة شاب ، خرجت المدينة بأسرها فى موكب جنازته ، لأنه على ما قالوا كان ابن رجل محترم ، بل أعظم المواطنين فضيلة وصلاحاً ، وإن والده قد خرج بسفرة منذ زمن طويل . » فأجاب سولون : « ما أتعس هذا الرجل ! ولكن ما اسمه ؟ فأجابه : « سمعت اسمه ، ولكنه لا يحضرني الآن . على أن الناس كانوا يلهجون بسمو حكمته وعدالته » . ثم أستدرج سولون ليذكر اسمَ نفسه ، فقال الرجل : « إن الشاب هذا هو ابن صاحب هذا الاسم ، أي سولون ، فكاد سولون يفقد رشده . واذ ذاك أخذ ثاليس بيده ، وابتسم له ، وقال : « هذه الأشياء ، يا سولون ، هي التي تمنعني من الزواج والانجاب ، حتى إن رجلاً مثلك موصوفاً بقوة جلده ترنح تحت تأثيرها ، وعلى كل فلا تعبأ بهذا الخبر . فانه مختلق . »

وهو نفسه الفيلسوف الذي وقع فى الحفرة عندما كان ينظر الى السماء ليتعرف ما فيها . وقد سخرت منه جاريته الذكية الحسناء وكانت من أهل (تراقيا) بقولها :

« يريد أن يعرف ما في السماء وهو يجهل ما تحت قدميه » فذهب قولها مثلاً .

ويقال إنه كان له بغل يحمله ملحاً ، ويظهر أن البغل كان من الذكاء بحيث أعتاد أن يبرك عند عبوره النهر حتى يذوب قسم كبير من الملح ، فيخف حمله . فما كان من ثاليس إلا أن حمله

بالصوف ، فتضاعف حمله عندما برك فى الماء . وهكذا عزف عن عادته السيئة ، وتحسنت سيرته .

وكان داعماً يردّد القول المأثور : « إعرف نفسك » . ولما سئل مرة : « كيف يقضي الإنسان على أحسن وجه وأصلحه ؟ أجاب : بتجنب ما نلوم غيرنا حياته على عمله » . وسأله أحدهم عن المكافأة التي يجب أن يتقاضاها عن اكتشاف معين كشفه فى علم الفلك ، فقال : « يكفيني مكافأة أنك عندما تروي خبر اكتشافي هذا للآخرين لا تدعيه لنفسك ، بل تنسبه إليّ » .

إن شهرة ثاليس وخلود اسمه لم يقوما على نجاحه فى التجارة ، ولا على بعد نظره فى السياسة ، بل على إبداعه الفكري فى الرياضيات . ولو اقتصرت فعالياته على الأمور التجارية والسياسية فقط ، لاندثر اسمه كما اندثرت المدينة التي أنبتته . ومع أنه لم يصل إلينا شيء من كتاباته ، الفيلسوف الآثيني بروكلس بعد زهاء الف سنة من وفاة ثاليس ، كتب شرحاً لهندسة إقليدس ، بدأه بخلاصة في تاريخ الرياضيات اليونانية إلى عهد إقليدس ، ذكر فيها أن ثاليس رحل إلى مصر ، فدرس فى أوقات فراغه ما يسميه المصريون « قياس الأرض » ، ولم يهتم بذلك لفائدته العملية وحدها ، بل شرع فيه بأسلوب أدى فيما بعد الى جعله علماً استنتاجياً مجرداً مبنياً على أسس منطقية عامة مسلّمة . ولكنه احتفظ بمعنى الاسم الأصلي ، وترجمه حرفياً الى اليونانية ، وسماه Geometry ومعنى Geo أرض و Metry قياس أي قياس الأرض . والاستنساخ الهندسي نوع من التعليل المحض ، يبدأ فيه المفكر من قواعد أولية متفق عليها أو متعارفات مسلّمة فيستند إليها ، ثم يتوصل منهما بالنقاش والبرهان الى نتيجة ما . وهو فى هذه العملية لا يستعمل إلا الحقائق المتفق على كونها قواعد أولية ، أو متعارفات مسلمة صحتها ، أو حقائق ثبت بالبرهان أنها تستند الى تلك القواعد والمتعارفات الأولية . وهذا النوع من التعليل يطلق عليه أيضاً التعليل المستند الى المتعارفات أو البديهيات .

ويعزو بركلس الى ثاليس فضل معرفة القضايا الآتية :

(١) تتشابه زاويتا القاعدة فى المثلث المتساوي الساقين ، ويستدل من استعمال كلمة

« تشابه » أن ثاليس لم ينظر الى الزاوية على أنها كمية ومقدار ، بل عدها شكلاً كونه مستقيمان .

(٢) قطر الدائرة يقسمها إلى جزءين متطابقين .

(٣) إذا تقاطع مستقيمان كانت الزوايا المتقابلة بالرأس متشابهة .

(٤) يتعين شكل المثلث بالضبط إذا عرف طول قاعدته والزاويتان فى نهايتها .

ويضيف المؤرخ پلوتارخ فكرة خامسة وهي معرفته .

(٥) شروط تشابه المثلثات القائمة الزاوية .

وقد استعان ثاليس بهذه الفكرة الأخيرة فى أستخراج ارتفاع أحد الأهرام المصرية . وطريقته فى ذلك أنه أخذ عصاً ذات طول معلوم ، فثبتها بصورة عمودية على الأرض ثم قاس طول الظل الذي ألقته هذه العصا على الأرض ، ثم قاس طول الظل الذي ألقاه الهرم . فاذا كان طول الظل ثماني أقدام فالعصا طولها أربع أقدام ، فالظل الذي طوله ستمئة قدم ينشأ عن أرتفاع قدره ثلاث مئة قدم .

أما القضية السادسة التي اكتشفها ، أو ينسب إليه اكتشافها ، فهي :

(٦) الزاوية المرسومة فى نصف دائرة تكون زاويةً قائمة . ويقال إن ثاليس ضحى بثور أبتهاجاً باكتشافه هذا .

إن القضايا المارة الذكر سهلة جداً يتعلمها الطالب فى العصر الحاضر فى المراحل الأولى من الدراسة الثانوية . والحقيقة أن أهمية عمل ثاليس لا تقاس بهذا العدد الضئيل من النظريات السهلة ، ولكنها تقوم على افتراض اعتماده على التعليل المنطقي فى إثباتها ، لا على الالهام أو التجربة ، وبذلك وضع الحجر الأساسي لعلم الهندسة الحديث الذي لولا هو ما تقدمت الهندسة ولا أصبحت علماً عظيماً من العلوم المجردة وعاملاً مهماً فى العصر الآلي الحديث .

لقد تطرقنا الى ذكر ثاليس ، لأنه اتجه الاتجاه العلمي الصحيح ، ولأن الشخص الذي سميت المدرسة باسمه ، وهو فيثاغورس ، كان فى شبابه تلميذاً لثاليس هذا ، ليكنه بز أستاذه ، أو

في الأقل كان ما تركه من أثر أعظم مما تركه أستاذه . ونتقدم الآن الى ذكر فيثاغورس ومدرسته :

فيثاغورس — يقال إنه كان ألمع تلاميذ ثاليس هذا ، وقد أختلف المؤرخون فى تأريخي ولادته ووفاته . لكنه ولد فى أغلب الاحتمالات فى حدود عام ٥٨٢ ق. م وتوفي عام ٥٠١ ق.م ويرجح أنه ولد فى (جزيرة ساموس) ، وهي قريبة من ميليتوس على البر الأصلي من آسية الصغرى . وهو كأستاذه ثاليس يرجع بأصله إلى الفنيقيين الساميين ، على أن بعض المؤرخين لا يؤيد ذلك ، ويروى أنه بعد أن أتم دراسته على ثاليس نصحه أستاذه هذا أنه إذا أراد المزيد من نور العلم فليرحل إلى مصر . لكن فيثاغورس لم يكتف بالسفر الى مصر ، بل رحل إلى بابل أيضاً وإلى الهند والصين على ما يقال .

والحقيقة أن العصر الذي عاش فيه فيثاغورس كان مملوءاً بمعاليات عظيمة تتمخض عن تطور جديد فى حياة البشرية . ذلك أن بوذا في الهند كان ينشر تعاليمه ، وكان كيفوشيوس فى الصين يضع أسس فلسفته الاجتماعية والدينية . أما فى ايران فكانت قد انتشرت تعاليم زورو آستر (زرادشت) منذ أمد قصير . أضف الى ذلك أن ورق البردي ، الذي كان يستعمل فى مصر للكتابة عليه ، قد أدخل الى بلاد اليونان فى حدود سنة ٥٦٠ ق . م . ويقول العلامة دافيد يوجين سميث المؤرخ الرياضي المشهور : « إن أختراع الطباعة فى القرن الخامس عشر لم يعمل — على وجه التأكيد — على إحداث ثورة فكرية أكثر مما عمل إدخال ورق البردي فى بلدان شواطيء البحر المتوسط الشمالية قبيل ظهور ثاليس » .

لا توجد معلومات موثوق بها عن رحلات فيثاغورس الى الشرق . ولكن طبيعة فلسفته تشير الى أتصاله بالشرق ، واقتباسه الكثير من الآراء والمعلومات من منابعها الأصلية هناك ، فمن جملة ذلك أنه جعل للأعداد قيماً روحية كما أنها ترمز فى الوقت ذاته الى أمور كونية . والحقيقة أن فلسفة فيثاغورس كانت أقرب الى فلسفة هؤلاء منها الى فلسفة الإغريق التي ولد فى أحضانها .

يقول أور أستاذ شرف للرياضيات فى جامعة ييل في كتابه « نظرية العدد وتاريخها » :
« إن الاكتشافات الحديثة فى الرياضيات البابلية ألقت ضوءاً على تاريخ العلم الإغريقي القديم ، وإن نموّ المعلومات الرياضية عند الإغريق قبل أقليدس كان على الدوام محوطاً بشيء من الغموض ، وكان من العسير فهم سر هـــذا التقدم السريع فى المراحل الأولية التي يمثلها تاليس الملطي والفيثاغوريون الى النظام البديع الذي تم الوصول اليه فى زمن أقليـدس ، بل ربما كان قبله . ولا مناص لنا من الإقرار بأن الإغريق اقتبسوا حقائق وطرائق رياضية عن الـكنوز البابلية أكثر مما كان يتصور لحد الآن » .

أما النظرية المسماة باسمه ، أي نظرية فيثاغورس ، فقـــد كانت معروفة لدى البابليين قبل فيثاغورس بما لا يقل عن ألف عام . ففي طبعة جـــديدة للنصوص المسمارية من قبل نيگبا باور وساكس عام ١٩٤٥ ورد وصف للوحة طين فى مكتبة پلمپتون فى جامعة كولمبيا جديرة بأن تكون من أعظم السجلات الفاصلة فى تاريخ الرياضيات ، إذ إنها تتضمن جدولاً يحتوي على أضلاع مثلثات قائمة الزوايا ، يصل طول أضلاعها الى أعداد كبيرة جداً . فالمثلث الذي أضلاعه مثلاً : ١٢٧٠٩ و ١٣٥٠٠ و ١٨٥٤١ ، هو مثلث قائم الزاوية . ومعنى ذلك أنهم لم يكونوا على علم بنظرية فيثاغورس حسب ، بل كانوا قد اكتشفوا القانون الذي يتم بموجبه استخراج أي مثلث قائم الزاوية إطلاقاً ، ولا سيما تلك التي لا يوجد بين أضلاعها أي قاسم مشترك . ولكن العقلية الدينية المحوطة بالأسرار فى ذلك العهد ، ورغبة الحكماء فى احتكار العلم لأنفسهم واستغلاله لمصلحتهم ، ربما كانت السبب فى عـدم انتشارهـا ، كما أن الـكتابة على الأحجار يصعب نقلها وتداولها ، بخلاف الـكتابة على ورق البردي ، وربما كان هذا سبباً آخر .

وقد جاء فى رواية عن أيامبليكوس فى كتابه (دى بثيا گوريكا) أن فيثاغورس درس الهندسـة والفلك فى مصر منذ كان فى الثانية والعشرين من عمره حتى بلغ الرابعة والأربعين ، ثم أسره البابليون فدرس في بابل اثنتي عشرة ســـنة أخرى ، فوصل الى أسمى المراتب فى علم الحساب والموسيقى وفى فروع المعرفة الأخرى .

ولما عاد بعد ذلك من تجواله الى وطنه الغرب ، لم يُقم في مسقط رأسه جزيرة ساموس ، لأسباب سياسية ، بل أسس مدرسته فى مدينة (كروتونا) . وهي ميناء غني يقع فى الجنوب الشرقي من إيطاليه فى المنطقة التي كان يطلق عليها إذ ذاك اسم (اليونان المظمى Magna Graecia) . وهناك تعرّف إلى أبناء الأثرياء وأصحاب النفوذ ، واستطاع بدهائه وقوة شخصيته وتظاهره بمعرفة الغيب وأسرار الطبيعة وبزهده وتقشفه أن يجمع حوله منهم زهاء ثلاثمئة شاب ، وأسس أخوه أول جمعية سرية ، صارت فيما بعد مثالاً للجمعيات السرية التي قامت فى أوربة وأمريكة . وكان أفراد هذه الجمعية على مرتبتين : الأولى الحلقة الداخلية ، ويتمتع أفرادها بالعضوية الكاملة ، وتتألف من الرياضيين . والثانية الحلقة الخارجية وتتألف من المستمعين ، ويكون أعضاؤها تحت التجربة ، ولا يعرفون جميع الأسرار التي يعرفها أعضاء المرتبة الأولى ، بل يعرفون بعضها . ومن يجتاز منهم دور التجربة بنجاح ، ينقل الى المرتبة الأولى . وكان شعارهم النجم ذو الأرؤس الخمسة ، وهم يعدون المال والمعرفة والفلسفة ملكاً مشاعاً بينهم ، وقد قيدوا أنفسهم بالتزامات أدبية تنظم حياتهم . وكانوا يمارسون بالفعل ما يعظون به : من ضبط النفس ، والاعتدال ، والعفة ، ونقاء الضمير ، والتقشف فى العيش ، وتجنب أكل لحم الحيوان ، لأنه قريب من الانسان . وكانوا يؤملون بهذه الوسيلة أن يطهروا النفس من أدران الحياة الفانية ، ويهيؤوها للحياة بعد الموت . فقد كانوا يعدّون الجسم سجناً وقتياً للنفس . وقد كان فيثاغورس يبشر بخلود الروح وبتناسخ الأرواح ، فكان يقول : « عندما نعيش تكون أرواحنا ميتة ومدفونة فى أجسامنا ، وحين نموت تنتعش أرواحنا وتحيا » . ويتضح من هذه الآراء مدى اتصاله بالهند ، أو على الأقل بالعقلية أو الفلسفة الهندية .

وكانت مهمة الفيثاغوريين فى أول أمرهم الحصول على المعرفة . فاذا توصل أحدهم الى حقائق جديدة ، تصبح ملكاً مشاعاً للجميع ، ولا يجوزون إفشاءها لغيرهم . ومن يخالف ذلك يكن الموت جزاءه . ويقال إنهم أغرقوا اثنين من اتباعهم ، لأن أحدهما تباهى بأنه اكتشف الجسم المنتظم ذا الاثني عشر وجهاً ، والثاني لأنه أذاع أن √ ٢ كمية لا نسبية ، أي لا يمكن التعبير

عنها كنسبة بين عددين صحيحين بتاتاً . ولذلك أصبح من المتعذر نسبة الاكتشافات العلمية الى أصحابها الحقيقيين بخاصة أنهم جميعاً كانوا ينسبون اكتشافاتهم الى زعيمهم فيثاغورس . وفي أثناء بحثهم عن القوانين الكونية العامة لعناصر الطبيعة والمجتمع ، درسوا ما يسمونه المجموعة الرياضية . وتتألف من نظرية الأعداد والهندسة والفلك والموسيقى .

ويلوح لنا أن فيثاغورس كان يطمح الى زعامة سياسية عن طريق العلم والفضيلة . فان سبب هجرته من جزيرة ساموس كان لأسباب سياسية كما ذكرنا ، كما كان هو وجمعيته فيما بعد يستهدفون ، فيما عدا الغايات العلمية ، إصلاح المجتمع وتطهيره بايداع الحكم عند أفضل الرجال خلقاً وعلماً وكفاية ، أي بتأسيس حكومة يسيطر عليها أعظم رجال الفكر وأصلحهم . ولكن هذه الآراء لم ترق من بيدهم مقاليد الأمور في (كروتونا) ، فأثاروا عليهم الغوغاء عدة مرات ، وفي سنة ٥٠١ ق. م قتلوا كثيرين منهم ، وأحرقوا بيوتهم ، فهرب فيثاغورس مؤسس الأخوّة أي الجمعية إلى مدينة (تارنتم) في جنوب إيطالية أيضاً ، وهناك مات في منفاه في السنة نفسها .

أما اتباعه فاحتفظوا بتعاليمه ، لكنهم خففوا قليلاً من غلواء بعض مبادئه .

نتكلم الآن على أهم ما أنجزه الفيثاغوريون في العلوم الرياضية ، ونبدأ أولاً بالحساب :

كان الفيثاغوريون يعتقدون أن في العدد مفتاح أسرار الكون ، أو أنّ الكون مؤلف من أعداد ، أي إن في كل شيء عدداً . ويحتمل أن ما دفعهم الى مثل هذا التفكير هو اكتشافهم أن توافق الألحان في الموسيقى ينجم عن مراعاة نسب عددية خاصة في أطوال الأوتار ، وأن لكل برج سماوي شكلاً خاصاً وعدداً معيناً من النجوم . وقد سجل أرسطو آراء الفيثاغوريين فالعدد واحد نقطة ، والعدد ٢ خط ، والعدد ٣ سطح ، والعدد ٤ فراغ أو حجم . وهذا سهل واضح ، الا أنهم من جهة أخرى ، شخصوا بعض الصفات الانسانية بالأعداد ، فالعدد واحد يمثل العقل أو العلّة ، وهو أصل الأعداد جميعاً ، والعدد ٢ يمثل الرأي أو الفكرة لأنها غير معينة ولا محدود لها كما يمثل الأنوثة ، أما العدد ٣ فيمثل الذكورة لأنه لا يقبل القسمة أو الانقسام ، أما العدد ٤ فيمثل العدل لأنه أول مربع كامل ناشئ عن ضرب عددين متساويين أي متعادلين أو متوازيين

تماماً ، والعدد ٥ يمثل الزواج لأنه ينتج عن جمع أول عدد أنثى ، أي ٢ مع أول عدد ذكر أي ٣ ، أما العدد ٧ فيمثل العذرة أي البكارة إذ لا عوامل لها . وكان عندهم الأضداد العشرة يقرنونها بالأعداد الزوجية والفردية ، مثل المتناهي واللانهائي ، الواحد والكثير ، اليمين واليسار .. الخ .

وكانوا يقدسون العدد ٤ خاصة ، لأنه كان في رأيهم يمثل عناصر الطبيعة الأربعة : الماء ، والهواء ، والنار ، والأرض ، إذ كانوا يعتقدون أن جميع المخلوقات تعود بأصول تكوينها الى هذه العناصر الأربعة . مضافاً إلى ذلك أن ١ + ٢ + ٣ + ٤ = ١٠ ولذلك كانت صلاتهم للعدد ٤ على الصيغة التالية :

« باركنا أيها العدد السماوي ، أنت الذي تنتج الآلهة والناس! أيها القدوس الرابوع الطاهر أنت الذي وسمت أصل الخليقة المتدفقة أبدياً ، وملكت ينبوعها » . لأن العدد السماوي يبدأ بالوحدة النقية العميقة حتى يصل الى الأربعة المقدسة ، فتنجب أمّ الكل الشاملة للكل المحيطة بالكل الولد البكر التي لا تحيد أبداً العشرة المقدسة التي لا تكل وبيدها مقاليد كل شيء !

وكانوا يصنفون الأعداد بطرائق شتى ، نذكرها اطرافها :

١ — الأعداد المتحابة : سئل فيثاغورس مرة : من الصديق ؟ فأجاب هو الشخص الذي هو أنا الآخر مثل ٢٢٠ و ٢٨٤ . ويقصد بذلك أن قواسم العدد ٢٢٠ ، وهي : ١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ ، ١٠ ، ١١ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٤٤ ، ٥٥ ، ١١٠ ، يبلغ مجموعها ٢٨٤ ، وأن قواسم العدد ٢٨٤ ، وهي : ١ ، ٢ ، ٤ ، ٧١ ، ١٤٢ ، يبلغ مجموعها ٢٢٠ . وكان الفيثاغوريون يقولون عن هذه الأعداد إنها متحابة . والحقيقة أن إيجاد مثل هذه الازواج من الأعداد ليس سهلاً ، فان ديكارت وفان شوتي ، اكتشفا ثلاثة منها . أما أويلر ، فقد اكتشف ما لا يقل عن ٦١ زوجاً . وما اكتشف منها حتى الآن يبلغ ٣٩٠ زوجاً . ولا يعرف حتى الآن هل عدد هذه الأعداد لانهائي أو متناهٍ . وكان من الناس مَن يتفاءلون بهذه الأعداد ، فيروى عن أحد الأمراء في القرون الوسطى ، وكان مجموع حروف اسمه بموجب الحساب الأبجدي يبلغ ٢٨٤ حرفاً ، أنه كان يبحث

عن زوج يبلغ مجموع أسمها بالحساب نفسه العدد ٢٢٠ ، لاعتقاده أن فى ذلك ضماناً سماوياً لزواج سعيد .

٢ — الأعداد الكاملة : والعـــدد الكامل هو العدد الذي اذا جمعت قواسمه وفى ضمنها الواحد ، كان المجموع مساوياً للعدد نفسه مثل الأول ٦ = ١ + ٢ + ٣

أو الثاني ٢٨ = ١ + ٢ + ٤ + ٧ + ١٤

ولم يُكتشف من هذه الأعداد حتى الآن إلا اثنا عشر عدداً فى ضمنها العددان المذكوران آنفاً .

الثالث ٤٩٦ = ١ + ٢ + ٤ + ٨ + ١٦ + ٣١ + ٦٢ + ١٢٤ + ٢٤٨

الرابع ٨١٢٨

الخامس $٢^{١٢}(٢^{١٣}-١)$ = ٣٣٥٥٠٣٣٦

السادس $٢^{١٦}(٢^{١٧}-١)$ = ٨٥٨٩٨٦٩٠٥٦

السابع $٢^{١٨}(٢^{١٩}-١)$ = ١٣٧٤٣٨٦٩١٣٢٨

الثامن $٢^{٣٠}(٢^{٣١}-١)$ = ٢٣٠٥٨٤٣٠٠٨١٣٩٩٥٢١٢٨

التاسع $٢^{٦٠}(٢^{٦١}-١)$ = عدداً مؤلفاً من ٣٧ رقماً

العاشر $٢^{٨٨}(٢^{٨٩}-١)$ = « « « ٥٤ «

الحادي عشر $٢^{١٠٦}(٢^{١٠٧}-١)$ = « « « ٦٥ «

الثاني عشر $٢^{١٢٦}(٢^{١٢٧}-١)$ = « « « ٧٧ «

والأعداد الكاملة من العدد السادس فما فوق ، أكتشفت منذ القرن الخامس عشر الميلادي حتى الآن .

٣ — الاعداد المتضدة أو المتلمة : درس الفيثاغوريون الأعداد بتشكيلات من النقط تتضد على وفق أشكال هندسية ، فقالوا الأعداد المثلثية عن الأعداد :

وهي تنتج :

١ = ١

٣ = ١ + ٢

٦ = ١ + ٢ + ٣

١٠ = ١ + ٢ + ٣ + ٤

١٥ = ١ + ٢ + ٣ + ٤ + ٥

. . . . . .

الخ

فكل من هذه الأعداد إذا مثلناه بنقط ، سيملأ مثلثاً متساوي الأضلاع إذا وضعت النقط على أبعاد متساوية .

كذلك توجد الأعداد المربعة . وهي التي إذا مثلناها بنقط ، تملأ مربعاً مثل :

ولقد اكتشفوا بعض الخواص السهلة بهذه الأعداد ، أهمها أنك إذا جمعت عددين مثلثين متتابعين تحصل على عدد مربع كما

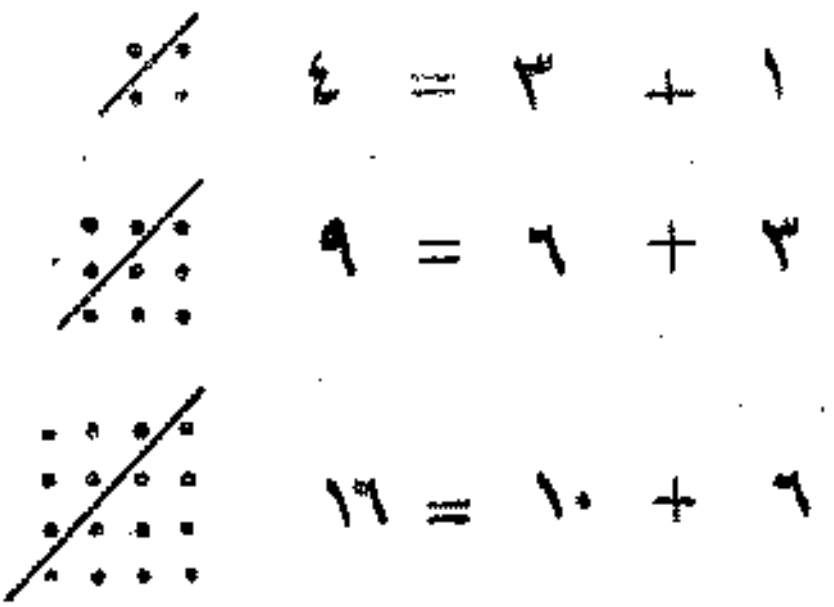

لقد قسم اليونانيون الحساب إلى نوعين : الأول ، ويسمونه Logistic ، هو الحساب العملي ، ويستعمل في المعاملات اليومية كالبيع والشراء والقياس والربح والخسارة ... الخ . والثاني ، ويسمونه Arithmatic ، أي الحساب النظري ، وهو في الواقع نظرية الأعداد . ومن الجلي أن الفيثاغوريين نحوا بالحساب نحواً نظرياً ، أي أنهم لم يقفوا فيه عند حدود فوائده العملية ، بل نظروا فيه كعلم مجرد . وهذا أمر لا تخفى أهميته .

أما ما أنجزه الفيثاغوريون في علم الهندسة ، فلا يقل أهمية عما أنجزوه في علم الحساب . ونذكر أهم ما توصلوا إليه في علم الهندسة .

١ — إنهم كانوا يعرفون خواص المستقيمات المتوازية ، فاعتمدوا عليها في إثبات أن مجموع زوايا أي مثلث كان يساوي زاويتين قائمتين ، واستنتجوا النظريات المعروفة عن مجموع (١) الزوايا الداخلية و (٢) الزوايا الخارجية لأي مضلع كان .

٢ — اخترعوا طرائق لتحويل مضلعات معلومة ، أو مجموع مساحات مثل هذه المضلعات ، أو الفرق بينها إلى مضلعات تكافؤها في المساحة وتختلف عنها في الشكل ، مثل كيفية رسم متوازي أضلاع وعلم منه طول قاعدته وإحدى زواياه بحيث يكافئ مثلثاً أو مضلعاً معلوماً ، أو رسم مثلث يكافئ مضلعاً معلوماً .

٣ — نظرية فيثاغورس المشهورة ، وهي أن المربع المنشأ على الوتر في المثلث القائم الزاوية

يساوي مجموع المربعين المنشأين على الضلعين القائمين ، ويقال إنه حين أنجز إثبات صحة هـذه النظرية ضحّى بمئة ثور إكراماً للآلهة واعترافاً بجميلها عليه .

ولقد بينا سابقاً أن هذه النظرية كانت معروفة لدى البابليين قبل الفيثاغوريين بألف عام . ومع أنه لم يتبين حتى الآن أكان البابليون قد أثبتوا صحة هذه النظرية أم لا ، فمن الصعب أن نقول إنهم كانوا يجهلون برهانها ، بخاصة أن البحوث الآثارية والتنقيبات لمّا تنته بعد . أضف إلى ذلك أن الطريقة التي برهن بها الفيثاغوريون على هذه النظرية ليست معروفة على وجه التأكيد ، فقد جمع هوفمن ٣٠ ثلاثين برهاناً مختلفاً لها .

٤ — عملوا على توسيع نظرية التناسب ، لكنهم لم يستخدموها إلا في الكميات النسبية فقط ، وكانوا على علم بخواص الأشكال المتشابهة . ويعزو بلوتارخ الى فيثاغورس نفسه حل مسألة تتعلق بكيفية رسم مضلع يشابه مضلعاً معلوماً ويكافيء مضلعاً آخر . وحل مثل هذه المسألة ، يتطلب معرفة أن مساحات المضلعات المتشابهة تتناسب مع مربعات أضلاعها المتناظرة .

٥ — عرفوا الأشكال المجسمة المنتظمة الخمسة . وكانوا يعتقدون أن العالم مكون من خمسة عناصر تتناظر مع الأشكال المجسمة المنتظمة الخمسة . فالأرض نشأت عن المكعب ، والنار عن الهرم الثلاثي المنتظم (أي ذي الأربعة الأوجه المنتظم) ، والهواء عن ذي الثمانية الأوجه المنتظم ، والماء عن ذي العشرين وجهاً المنتظم ، والكرة الكونية عن ذي الأثني عشر وجهاً المنتظم .

٦ — اكتشفوا كيفية رسم المخمس المنتظم . وكان شعارهم كما أسلفنا النجم المنتظم ذا الخمسة الأرؤس ، ورسم هذا الشكل يعتمد على ما يسمى القسمة الذهبية ، ، وهي تقسيم خط قسمةً ذات وسط وطرفين .

٧ — اكتشفوا الأعداد اللا قياسية ، أو على الأقل واحداً منها هو $\sqrt{٢}$: وهذه الأعداد تسمى أيضاً الأعداد اللا نسبية ، وهي التي لا يمكن استخراج قيمتها بالضبط ، ولا يمكن أن تمثل بكسر اعتيادي ، أو بنسبة بين عددين صحيحين ، أو بكسر عشري منته .

فالمثلث القائم الزاوية إذا تساوى ضلعاه القائمان ، لا يمكن قياس طول وتره بدلالة الضلع قياساً

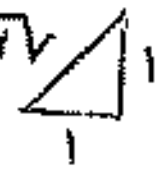

مضبوطاً . كما أن √٢ لا يمكن استخراج قيمتها ، بدلالة النسبة بين عددين صحيحين ، فهي تساوي ١٫٤١٤٢٠٠٠٠ الى ما لا نهاية له من الأرقام العشرية . ثم إن القسمة الذهبية التي أشرنا إليها تؤدي أيضاً الى عدد لا نسبي آخر ، هو √٥ .

ولما كانت فلسفة الفيثاغوريين تقوم على اعتبار أن الأعداد الصحيحة هي الأصل المتحكم في الطبيعة ، وأنه في الوسع التعبير عن كل الأشياء بهذه الأعداد فقط ، فقد كتموا الأعداد اللا قياسية . ويقال إنهم أغرقوا أحد أعضاء جمعيتهم ، لأنه أذاع أن √٢ لا يمكن أن يعبر عنه بأعداد صحيحة . ولكن الحقيقة لم تلبث أن ظهرت إذ لا يمكن أن تبقى خافية إلى الأبد !

محيي الدين يوسف